من روائع الأدب العالمي

# البـــؤســـاء

## وقصص أخرى

عرض وتبسيط

**محمد رجب**

الحائز على جائزة الدولة التشجيعية

رسوم

**حمدى هدهود**

سفير الدولية للنشر

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

الطبعة الأولى
١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م
حقوق الطبع محفوظة
رقم الإيداع : ١٥٣٧٤ / ٢٠٠٧
الترقيم الدولي : 977-6127-11-8
سفير الدولية للنشر
١٦ ش محمد عز العرب من ش القصر العينى - ص. ب : ٤٢٥ الدقى - القاهرة
ت: ٢٥٣٢٩٥٠٥-٢٠٢+ فاكس : ٢٥٣٢٩٩٠٢-٢٠٢+
E-Mail: info@Safeer.com ـ Web Site: www.safeer.com.eg
المعرض الدائم
٤٨ ش أحمد عرابي المهندسين
تليفون : ٣٣٠٤٩٤٠٣ / ٢٠٢+

# البـــؤســـاء

فيكتور هوجو

obeikandl.com

# البؤساء

## فيكتور هوجو

* **حياة فيكتور هوجو :**

● من أشهر الأدباء الفرنسيين .. والذين ناصروا المذهب الرومانسى فى الأدب والفن.

● ولد فى السادس والعشرين من فبراير سنة ١٨٠٢م وكان والده ضابطاً فى جيش فرنسا ..

● اشتهر بكتابة الشعر، ونشر أول دواوينه فى سن العشرين .

● فى التاسعة والعشرين نشر مسرحية « هرناني » ورواية « أحدب نوتردام » اللتين ترجمت إلى معظم لغات العالم فاكتسب شهرة داوية فى أرجاء العالم.

● فى الستين من عمره نشر أشهر رواياته « البؤساء » .

● نفى خارج البلاد، وبعد عودته تولى عضوية مجلس الشيوخ.

● توفى عام ١٨٨٥م وهو فى الثالثة والثمانين .



obeikandl.com

* **شخصيات الرواية :**

١ – **چـــان فالچـــان** : مجرم وخريج ليمان.

٢ – **الأب مـادلين** : صـاحب مـصنع خـزف وحلى زجاجى طيب القلب .

٣ – **جافير** : مفتش شرطة .

٤ – **فـــانتيـــن** : امرأة سيئة الحظ عانت كثيراً، وعملت فى مصنع الأب مادلين .

٥ – **كـــوزيت** : ابنتها .

٦ – **مـاريـوس** : خطيب كوزيت .

٧ – **مسيو جيلنورمان**: جده، رجل ثرى .

٨ – **الآنسة بابتستين** : أخت أسقف برينول.

٩ – **الأسـقف ميريل** : أسقف برينول .

١٠ – **مدام ماجـلوار** : خادمته العجوز .

١١ – **تـــولـوميـس** : والد كوزيت .

١٢ – **تينـــارديـــيـــه** : صاحب حانة شرير.

١٣ – **مدام تيناردييه** : زوجته .

١٤ – **فوشـــليفـــان** : بستانى دير سان أنطوان .

# أسقف بريبنول

كان شارل فرانسوا ميريل ، أسقف بريبنول فى شبابه عابثًا لايكف عن المغامرات..

زوَّجه والده فى سن العشرين ، وماتت زوجته بمرض السل دون أن تنجب لزوجها ولداً ..

قضى شارل شطراً كبيراً من حياته فى إيطاليا ، ثم عاد وهو يرتدى مسوح القس وتولى أسقفًا لمدينة بريبنول .. عاد بصحبته أخته الآنسة (بابتستين) وخادمته (ماجلوار)...

عاد الأب ميريل بعد أن قضت الثورة الفرنسية على ثروة العائلة ، وعاش على إيراد أخته وهو لايتجاوز الخمسمائة فرنك فى العام .. أما إيراده من الأسقفية فقد أوقفه على أعمال الخير ..

وذات يوم سمع عن قضية مثيرة ..

رجل اضطر إلى تزييف النقود لينفق على زوجته وولده وصدر الحكم بإعدامه ..

# عابر سبيل

دخل مدينة برينو عند الغروب عابر سبيل .

ذهب عابر السبيل إلى فندق صغير ليبيت ليلته .. لم يجد مأوى، وكان قوى الجسم ، بارز العضلات . تعدى الخامسة والأربعين يرتدى ملابس رثة ويحمل على ظهره صرة منتفخة..

رفض صاحب هذا الفندق إيواءه وإطعامه، فانطلق عابر السبيل ، واسمه جان فالجان ، يسير على غير هدى إلى أن وصل ، وقد أدركه الظلام ، إلى بوابة منزل الأب فآواه القس.. وحكى له جان فالجان حكايته .. قال :

اسمى جان فالجان . خرجت من الليمان بعد تسع عشرة سنة. منذ أربعة أيام خرجت . فى عزمى أن أصل إلى بونتار لييه .....

سرت على قدمى أربعة أيام ، وقد وصلت إلى المدينة وقصدت فندقًا صغيراً فى طلب مأوى وطعام فطردونى ، ثم ذهبت إلى فندق آخر فلم يكن حظى فيه بأسعد من سابقتها .. كل هذا لأننى خريج الليمان ..

الطريف أننى ذهبت إلى السجن فرفضوا استضافتى فيه، فإلى أين أذهب يا ترى ولا يطردوننى ..؟

لقد تمددت فوق حجر أمام الكاتدرائية ومرت بى امرأة وأشارت إلى بيتك فحضرت .. أنا لا أحب أن أستجدى أحداً .. ولديَّ نحو مائة وتسعة من الفرنكات حصيلتى من الليمان ، ومستعد أن أدفع ما يطلب منى .. فهل لديك مأوى لبائس مثلى وطعاماً يحفظ حياتى..؟

أجاب الأسقف :

– ياسيدة ماجلوار ، ضعى صحفة أخرى على مائدة الطعام ..

قال له الزائر :

– مهلاً ياسيدى ألم تسمعنى أقول إننى خريج الليمان...؟

– إننى رجل خطير ، ومعى شهادة من الليمان تذكر أننى جان فالجان المولود فى فافيرول والذى قضى فى الليمان تسع عشرة سنة ، منها خمس سنوات بسبب جريمة السطو، وأربع عشرة سنة لمحاولته الفرار من الليمان أربع



obeikandl.com

مرات ... فهل تقبل رغم ذلك كله استضافتى وتقدم لى مأوى وطعامًا ..؟

أطعمه القس وآواه .. لكن طبيعته الشريرة غلبته فسرق الصحاف الفضية من خزانة البيت ، وفر بعيداً ..

حين أشرق الصبح أسرعت الخادمة إلى الأسقف قائلة :

– يا إلهى .. لقد سرقت ، لم يسرقها سواه ... ضيف الأمس

– لاتظلميه .... قد يكون بريئًا .....

– أبدًا .... بل هو السارق ..... كما أنه لم ينس أن يصحب معه الشمعدانين .. لابد أن نبلغ الشرطة ليقبضوا عليه ونسترد المسروقات ..

– هنا سمعا طرقًا على البوابة ، فأسرعت السيدة لتستطلع القادم، وعادت وهى تقول :

– إنه شرطى ياسيدى ويطلبك لأمر مهم ..

– أدخليه ...

كانت الشرطة قد قبضت على السارق .. لكن القس

يسعى إلى تبرئته ويقول له وهو يقدم له المسروقات :

– ياصديقى إننى أعتذر إليك ، عليك أن تأخذ الأشياء وتنطلق من فورك ، فأمامك سفر طويل ...

– انصرف جان فالجان دون أن ينطق بكلمة ، فاخترق الحقول مهرولا ... وقضى نهاره هائمًا على وجهه ولم يتناول طعامًا ...

إنه لايكاد يصدق ماجرى ... فهو لم يفهم بعدُ ما جرى ..

وانقضى النهار سريعًا ... وها هو الليل يرخى سدوله على الكون فيلقى الرجل جسده وسط دغل خارج المدينة .... ويروح يفكر فيما جرى من أحداث..

وتتغير حياة جان فالجان ، فيصبح رجلَ خيرٍ بالفعل ..

* * *

# عشاق

كـانوا أربعـة شـبـان كـأمـثـالـهـم من طلاب العلـم فى باريس.. يعيشون على هامش الحياة..

إنهـم تولوميس ، استوليه ، فاميل ، بلاشفيل ..

وكـان لهـم أربـع صـديـقـات عـلى التـوالى هـن : فـانتين عشيقة تولوميس ، داليا معشوقة استوليه ، جوزفين حبيبة فاميل ، وأخيرا فافوريت عشيقة بلاشفيل ..كانت فانتين أصغرهن سنًّا .. ولقد خرجت إلى النور فى قرية مونفوريل ولاتعرف لها أبًا ولا أمًّا ..

أما الذى أطلق عليهـا اسمـها فهو عابر سبيل رأها تجرى حافية القدمين فى الطريق..

حين بلغت فانتين الخامسة عشر هربت من خدمة البيوت وغسل الثياب ورحلت إلى باريس لتجربة حظها ، وهناك عـملت بحياكة الثياب ، ثم تعرَّفت على تولوميس الذى كوَّن مع أصحابه الثلاثة عصابة بزعامته اشتهرت بالشقاوة والسرقات الصغيـرة ، لكنهـا لم تزعج المجتـمع البـاريسى ليشتد فى تعقُّبها ...

ذات مساء جمع تولوميس العصابة وقال لهم :

– ها قد مر عام منذ وعدنا صديقاتنا بمفاجأة ، وأظن أن الوقت حان للوفاء بوعدنا .. ما قولكم فى خطة وضعتها للوفاء بما وعدنا ..؟

هتفوا فى صوت واحد :

– موافقون .

– إذن فأصغوا إلى حديثى جيداً ..

فى الأحد التالى خرج الأصدقاء وصديقاتهم إلى نزهة فى ( نيولي ) ..

هم سعداء للغاية ولايكفون عن المرح وتبادل النكات ..

وانقضى النهار فى بهجة وسرور وسط الزهور والنسيم والشمس الساطعة .

وهبط المساء ، وكانوا قد تناولوا بعض الشطائر وشبعوا ..

وفى صباح اليوم التالى تركوا رسالة عجيبة للصديقات .. تقول الرسالة العجيبة :



obeikandl.com

نحن عـائدون إلى المجـتـمع والنظام لنتـوظف ونكون مواطنين صالحين فوداعًا أيتها الصديقات . .

وداعًا . . . .

والتوقيع : تولوميس . . . .

فلاميل

استوليه

بلاشفيل . .

وثمة ملحوظة فى نهاية الرسالة : فلا تدفعن الحساب ، فالحساب خالص . . حملقت الفتيات فى وجوه بعضهن غير مصدقات . .

قالت فافوريت :

– لابد أن الأمر دعابة .

قالت داليا :

– دعابة من تولوميس . .

قالت فافوريت :

– يحيا تولوميس . .



obeikandl.com

قالت داليا :

– بل ويحيا بلاشفيل

وانفجرت الفتيات فى ضحك متواصل ..

عادت فانتين إلى غرفتها ... وألقت بنفسها على الفراش وبكت بكاء مرًّا ماذا لو لم يعد تولوميس ؟ يا للمصيبة ..

واختفى تولوميس ولم يعد ..

* * *

obeikandl.com

# مقهى تينارديه

كانت الطفلتان تلهوان بالأرجوحة التى فى الطريق المؤدى إلى المقهى ..

جلست أمهما ترقبهما فى سعادة وهى تقشر بعض الخضر وهما تتألقان صحة وحبوراً ..

سمعت الأم فجأة صوتًا يهتف :

– ما أروعهما طفلتيك يا سيدتى :

رفعت عينها وشاهدت فتاة تحمل بين ذراعيهما طفلة صغيرة وحقيبة ضخمة..

كانت ترتدى ثوبًا خشنًا يماثل ثياب العاملات وعلى رأسها إيشارب يدارى شعرها ، لكن ما أروع قسمات وجهها البديع الحزين..

فى مقتبل العمر ، وجميلة .. وواسعة العينين ... ولاتكف الفتاة عن السعال ، أما الطفلة فكانت فى نوم عميق ..

إن الفتاة هى فانتين ذاتها .....

بعـد فـرار تولومـيس شـعـرت فـانتين أنـهـا وحـيـدة فى باريس....

حاولت أن تتصل بتولوميس وكتبت إليه كثيراً ، لكن بلا طائل .

ولما نفـدت نقـودها لم تجـد بدًّا من العـودة إلى مـسـقط رأسها مدينة مونفوريل .. لكن كان يعوقها حملها الجميل بين ذراعيها .. صغيرتها كوزيت ..

ماذا تصنع فى بلدها حين يسألها الناس :

– طفلة من هذه ؟ لماذا تحملينها معك ؟

حـملت طفلتـهـا وجـمـعت حـاجـاتـهـا فى حـقـيـبـة وانطلقت..

بعد أن هدّ السيرُ قواها وصلت إلى الحانة ..

ورأت الطفلتين تلهوان فى سعادة وبراءة .. فتمنت لو أن صغيرتها مثلهما ..

ما إن نطقت قائلة :

– ما أروعهما طفلتيك يا سيدتى ..



obeikandl.com

حتى ردت الأم فى سرور:

– ماذا تريدين ..؟

قالت فانتين :

– اسـمـعـينى .. إننى لا أقدر على أن أذهب بهـا إلى مـسـقط رأسى وإلا تـعـذَّر علىَّ أن أجـد عـمـلاً ... هل تتكرمين وتجعلين ابنتى شـقـيـقـة لطفلتـيك ؟ إننى على استعداد لدفع ستة فرنكات كل شهر .

سمعت صوت رجل من داخل المقهى .

– بل سبعة فرنكات ، ومقدمًا ناولينا أجر ستة شهور ..

قالت مدام تيناردييه :

– الجملة اثنان وأربعون فرنكًا .

عاد الرجل يقول :

– إضافة إلى سبعة عشر فرنكًا للطوارئ.

قالت فانتين :

– سأدفع ، فمعى ثمانون فرنكًا وهى كافية .. وحين أصل إلى مونفوريل سأجتهد وأدخر مبلغًا ثم آتى لأسترد

صغيرتى ...

سألها الرجل :

– هل للصغيرة ملابس ؟

سألت فانتين :

– من يكون ..؟

قالت المرأة :

– زوجى ..

انصرفت فانتين بعد أن تركت ابنتها ..

* * *

obeikandl.com

# كوزيت

رحلت فانتين فى بكورة الصباح تاركة ابنتها ريثما تعود وتستردها فى أقرب فرصة

قال تيناردييه لزوجته :

– لقد قادت إلينا العناية الإلهية هذه الفتاة لتنقذنا ولنسدد ديوننا وإلا بعنا المقهى فى الغد . .

لكن بعد شهر بعث الرجل زوجته إلى باريس لتبيع ثياب الطفلة بستين فرنكًا ، واستعان بالمبلغ فى قضاء حوائجه . .

فهل أحسن الاثنان رعاية الطفلة التى وضعتها أمها أمانة فى عنقهما؟

لا .

لقد شعرا أن الطفلة صارت عبئًا عليهما ، فنزعاها ثياب العز وألبساها الخرق البالية، وسخّراها فى خدمتهما، وخدمة النزلاء وخدمة طفلتيهما .

فماذا كانت كوزيت المسكينة تأكل ؟

الفتات المتبقى من المائدة !

فى كل شهر يتسلم تيناردييه القاسى رسالة من فانتين تستفسر فيها عن طفلتها فيسارع بالرد : إنها على خير حال .

وفى نهاية الشهر السادس أرسلت فانتين سبعة فرنكات .

لكن الرجل الفَظَّ صاح لابد أن تضاعف لنا السبعة فرنكات ..؟

وكتب إلى الفتاة بأن تضاعف المبلغ .. ووافقت فانتين وأرسلت فى الشهر التالى أربعة عشر فرنكًا ..

وها هى ابنتها يتم ضربها بسبب وبغير سبب ، وتعامل بمنتهى القسوة ..... بلا جريرة، أما الطفلتان فتنعمان بالصحة والسعادة والطعام الوفير ... وانقضى عام..

وامتدح أهل قرية ( بولانجيه ) الرجلَ وامرأته .. قالوا :

– ما أرحم الرجل وزوجته .. إنهما يرعيان الطفلة التى هجرتها أمها ..

كتب تيناردييه إلى فانتين قائلاً إنه بحاجة إلى عشرين

فـرنكًا فى الشـهـر، وإلا أرسل الطفلة إليـهـا وفضـحـهـا فى مسقط رأسها ، فلم تتوان الفتاة عن إرسال المبلغ..

* * *

obeikandl.com

# الأب مادلين

أدهش فانتين – حين عادت إلى مونفوريل – أن تتسع صناعة الخرز والحلى الزجاجية وتنتعش إلى أبعد حد . .

لقد تضاعف الإنتاج عشرات المرات ، وسمعت أن الذى أحدث هذا الانقلاب فى الصناعة رجل غريب وفد إلى المدينة منذ أعوام . .

لقد بدأ الرجل مشروعه ببضع مئات من الفرنكات . .

كان قد قدم إلى المدينة يحمل صرة فوق ظهره وعصا فى يده . . وفى ليلة قدومه ذاتها شب حريق هائل فى مبنى البلدية فجازف الرجل بحياته وألقى بنفسه وسط النيران وأنقذ غلامين هما ابنا مدير شرطة المدينة . .

وبالطبع لم يسأل أحد الرجل عن هويته ولا أوراقه ، واكتفى هو بالقول بأن اسمه الأب مادلين . .

وبعد عام من قدومه كان مصنعه أكبر مصانع المدينة ، ولم يمنع الرجل أحداً يطلب عملاً من أن يتسلم عمله فى التو واللحظة .

بعد ثلاثة أعوام كان للرجل حساب بنكى يقدر بآلاف الفرنكات..

ساهم الأب مادلين فى بناء مستشفى ومدرستين وملجأ للأيتام ..

ولم يلبث أن عُـيِّن لمنصب عـمـدة المدينة .. لكنه لم يتـخل عن بساطته ، فهـو يحب العزلة وقراءة الكتب ، ويقيم وحده فى منزل بسيط عتيق الطراز ، أبرز ما فى أثاثه شمعدانان قديمان فضيان ..

نقلت إحدى الصحف خبر وفاة الأسقف ميريل . وفى اليوم التالى لاحظ أهالى مونفوريل أن الأب مادلين زين قبعته بشارة الحداد .

فسألته إحدى السيدات :

هل أنت ابن عم المرحوم أسقف برينول ؟

– لا ، بل كنت خادمًا لأسرته ..

كل من فى المدينة يحس بالتوقير للأب مادلين إلا شخصًا يدعى جافير .. مفتش الشرطة لقد غافله أحد المساجين وفر من يده ..

كان جافير يشك فى أن الأب مادلين هو ذاته جان فالجان المسجون الهارب .

* * *

obeikandl.com

# قرار الهاوية

لم تجد فانتين من يتذكرها فى المدينة، لكنها ذهبت إلى المصنع وطلبت أن تعمل فأرسلوها إلى قسم العائلات – وحين قبضت راتبها أسرعت ترسل إلى تيناردييه الأجر المطلوب وابتاعت أثاثًا لحجرة استأجرتها .

شاع أمر المراسلة بين فانتين وتيناردييه بين العاملات .. وسافرت إحداهن إلى بولانجيه وعادت وفى جعبتها مفاجأة: إن لفانتين ابنة تعيش فى بولانجيه واسمها كوزيت..

وبعد عام سلمت رئيسة العاملات لفنانتين مبلغ خمسين فرنكًا وأبلغتها أن المبلغ هدية من العمدة وأنهم قد استغنوا عن خدماتها فى المصنع ..

ذعرت فانتين وكادت المفاجأة تفقدها عقلها :

نصحتها إحدى الزميلات بأن تقابل العمدة وتستعطفه ليبقيها فى المصنع ..

لكنها خافت أن تلقاه ، فقد تصورت أنه سيطردها من حضرته ويغلظ لها القول ..

بادرت فسددت قسط الأثاث وإيجار الغرفة ..... وسرعان ما نفدت النقود ..

وجاءتها رسالة قاسية من تيناردييه يطلب منها إرسال نقود لتنقذ ابنتها من الموت برداً، احتارت فانتين. ماذا تفعل؟

قصدت إلى محل حلاق ، وباعته شعرها لقاء عشرة فرنكات ابتاعت بها ثوباً من الصوف أرسلته إلى تيناردييه فأعطاه لابنته الكبرى..

انقلبت فانتين إلى بائعة هوى – كيف حدث ذلك ؟ هذا ما جرى..

وضعت على رأسها قلنسوة صغيرة حتى لايلحظ الناس ما حصل لشعرها .. وخصَّت الأب مادلين باحتقارها : ألم يتسبب فى طردها من المصنع ؟

والرجل برىء ولا يعلم من أمرها شيئًا .. وكل ما تم كان بتدبير رئيسة العاملات .. لما فشلت فانتين فى العثور على عمل قررت احتراف البغاء ..

وكان أن اتخذت لها عشيقًا .. أول رجل راودها عن

نفسها . .

لكن العشيق كان لئيمًا ويشبعها ضربًا ، فهجرته . .

* * *

obeikandl.com

# ملاك وشيطان

بعد نحو ثمانية أشهر وقعت حادثة مؤسفة ..

كان رجل يتسكع ذات ليلة شديدة البرودة فأبصر امرأة تسير ذهاباً وجيئة أمام أحد المقاهى .. كانت ترتدى ثوباً شفافاً يكشف عن صدرها وساعديها ..

راح يداعبها فى سماجة مما اضطرها إلى ضربه وشتمه..

صاح الرجل مستنجداً .. فتدخل المارة وخلّصوه من براثنها .. وفجأة برز من داخل المقهى المفتش جافير وأمر المرأة أن تتبعه إلى مركز الشرطة ..

وسرعان ما كانت المرأة حبيسة الزنزانة ..

إنها فانتين التعسة قد وقعت فى قبضة جافير الذى لايرحم ..

كانت التهمة : بائعة هوى تتحرش بأحد المارة وتسبب له أذى بالغاً .

توسَّلت فانتين للمفتش الذى قال لها :

– ستقضين فى السجن ستة شهور ..

لكنه لم يصغ إلى توسلاتها ، ولم تشفع لها دموعها ..

وبينما تتم الإجراءات إذا بضيف قد أقبل وسمع التوسلات .. إنه الأب مادلين .

طلب مادلين من المفتش أن ينتظر ويطلق سراح المرأة . فوثبت عليه فانتين وبصقت فى وجهه .... وقالت لجافير :

– إنه يا سيدى سبب مصائبى ، فهو الذى طردنى من المصنع .

– هنا قال جافير :

– عفواً سيدى العمدة ، لايمكننى إطلاق سراحها ، فقد أهانت رجلاً محترماً وهناك شهود .

– قال مادلين :

– لقد مررت بمكان الحادث وسردوا على سمعى الحقيقة، والرجل هو الذى بدأ معاكسة السيدة ..

وفى اليوم التالى سمع مادلين أنهم قبضوا على جان فالجان ، السجين الهارب ..

قرر مادلين أن يودع فانتين المستشفى للعلاج من مرض السل ..

# المحاكمة

أمر مادلين ( جان فالجان ) بإعداد عربة ذات جياد لرحلة طويلة .

ثم انطلق إلى حيث يحتفظ بالشمعدانين واستخرجهما وألقى بهما فى نار الموقد . .

ثم انطلق بالعربة إلى "أزاس" حيث ستقام المحاكمة . .

ونظر إلى السجين . . المتهم يناهز من عمره الستين وانطلق محامى المتهم مدافعًا وعبَّر عن أسفه؛ لأن المتهم أنكر أنه ليس جان فالجان رغم شهادة الشهود . . وأنه سرق تفاحًا.

تهجّم المتهم على المدعى العام ووصفه بالظلم وبأنه رجل شرير . . وشهد الشهود فى الجلسة بأن المتهم هو جان فالجان ذاته . .

هنا سمع الجميع صوتًا يقول :

– كلا ياسيادة المدعى العام فالرجل بريء . .

إنه مادلين الذى شاهد مايدور من أحداث . . وقد

اعترف بأنه هو جان فالجان المجرم السابق ..

هنا طلب رئيس الجلسة طبيبًا ليوصل الأب مادلين إلى بلدته .. لكن جان فالجان قال :

– ليس فى نيتى أن أشغل المحكمة بأمرى أكثر من ذلك وسأنصرف الآن لأصفى بعض شئونى وأنتم تعرفون مكانى..

وانصرف وسط دهشة الجميع ..

عاد جان فالجان إلى مدينة مونفورميل وإلى المستشفى وسأل الممرضة :

– كيف حال المرأة التعسة ؟

– نامت قريرة العين حين علمت أنك ذهبت إلى بولانجيه لتحضر ابنتها ..

فى هذه الأثناء وصل جافير ....

لقد جاء لاعتقال جان فالجان ...

قال جافير لجان فالجان :

– هلم وأسرع .....

صحت فانتين وأبصرت جافير يقبض على عنق العمدة فشهقت وماتت ...

* * *

obeikandl.com

# المنقذ

لم يلبث جان فالجان أن وقع فى قبضة الشرطة وهو يركب عربة إلى مدينة بولانجيه..

وذكرت إحدى الصحف أنه كان قد سحب من البنك نحو سبعمائة ألف فرنك ، ولايعرف أحد أين أنفقها ولا أين وَاراها ؟

ثم ذكرت الصحيفة نفسها بعد أسبوع أن السجين قد فر من السفينة « أوريون » التى يعمل فى ترميمها مع باقى السجناء ..

وأنه غرق بعد أن أنقذ بحاراً من الغرق ..

لكن لم يعثر على السجين ولا على جثته ورقمه هو ٩٤٣٠ واسمه جان فالجان ..

كانت مدام تيناردييه ذات يوم مشغولة فى المطبخ ، فأقبل أحد نزلاء الحانة مزمجراً :

– إن جوادى لم يشرب طيلة النهار ..

أمرت المدام كوزيت قائلة :

– قدمى إلى الجواد حاجته من الماء ..

– لا يوجد ماء إلا فى الينبوع .

– إذن احـملى هذه الآنيـة وانطلقى إلى هناك .. وفى الطريق ابتاعى رغيف خبز ..

خرجت كوزيت ... ووقفت تتفرج على دمية كبيرة فى محل لبيع لعب الأطفال .. هنا دوى صوت المدام من النافذة :

– ألم تذهبى بعد أيتها الضفدعة القذرة ..؟ صبراً سوف ألحق بك الأذى..

أطلقت كوزيت ساقيها للريح .. وتوغلت فى الحقول وملأت الآنية ، فتدحرجت قطعة النقود ( ثمن الرغيف ) من جيبها على الأرض ..

وإذا برجل هائل الحجم يحمل عنها الآنية الثقيلة ..

قال لها الرجل وهو يسير معها ..

– إن حملك لثقيل يا بنية ..

قالت فى ذلة :

– نعم يا سيدى ..

عرف جان فالجان أنها كوزيت، وعلم كم تسخرها مدام تينارديه..

صاحت فيه المرأة :

– لابد أن تعمل لتأكل ...

– فماذا عليها أن تعمل ؟

– تصنع جوربًا ...

– كم يتكلف ؟

نظرت إليه المرأة فى دهشة ، وكان زوجها يسمع . قالت :

– حوالى ثلاثين سنتًا ..

– إليك خمسة فرنكات ودعيها تلعب كما تشاء .

– هل ألعب يا سيدتى ؟

– أجل ..

وانسحبت المرأة إلى زوجها ، وهمست له :

– من يكون هذا الرجل ؟



obeikandl.com

– لايهم ... كل ما هناك علينا أن نستولى على ما معه من مال..

هنا اختطفت كوزيت دمية إحدى البنتين لتلعب بها فانتزعتها المرأة منها ونهرتها ..

خرج جان فالجان من المقهى، وعاد سريعًا وهو يحمل الدمية الكبيرة التى كانت فى محل بائع لعب الأطفال . ناولها لكوزيت وقال:

– إليك دميتك يا بنيه ، فالعبى كما تشائين ..

جمدت المرأة مكانها .... ونظرت إلى الرجل كمن لاتصدق وتذكرت حديث زوجها ... لابد من الاستيلاء على أمواله ..

استأذنت المرأة الرجل فى أن تذهب البنات للنوم ..

أما هو فجلس إلى المائدة ورأسه بين كفيه يفكر ..

خلى المقهى من الزبائن وهو قابع فى مكانه لايريم..

اقترب منه تيناردييه وسأله :

– ألن تنام يا سيدى ؟

– بلى .. أين ؟

أجابة تيناردييه وهو يبتسم :

– سأدلك عليها يا سيدى ..

وتناول شمعة موقدة ، فحمل جان فالجان صرته وعصاه وصعدا... ودخلا غرفة رائعة .. هتف جان :

– ما هذا ؟

– إنها غرفتى الخاصة ، وهى مغلقة من زمان ..

قبل بزوغ الشمس كان المجهول مرتديًا ثيابه وحاملاً صرته وعصاه، فسألته المرأة:

– أأنت راحل بهذه السرعة ياسيدى ؟

– نعم ، كم سأدفع ؟

– ليس كثيراً .. ثلاثون فرنكًا ..

– لابأس .. ها هى .. كيف حال العمل هنا ؟

– هناك أزمة شديدة ، والبنت التى عطفت عليها تكلفنا كثيراً ..

– فلماذا لاتتخلصان منها ؟



obeikandl.com

صاحت :

– خذها وأرحنا منها يا سيدى ..

– حسن ، عليك أن تناديها ..

لم تصدق المرأة أذنيها ... وصاحت :

– تعالى يا كوزيت ...

هنا برز زوجها .. وقال :

– كم تدفع ثمنًا للبنت ؟ إننا لانطيق فراقها ، فهى نافعة لنا ولاتكلفنا الكثير ..

ونظر إلى زوجته شزرًا .. وقدم كرسيًّا للرجل ليجلس..

فقال جان فالجان :

– اسمعنى يا مسيو تيناردييه .. إننى سأدفع لك بشرط ألا تحاول معرفة من أكون .. مفهوم ..؟

– إذن فإننى أطلب ألفًا وخمسمائة فرنك ..

دفع جان فالجان المبلغ وانطلق بكوزيت مبتعدًا ..

وينطلق بها إلى أحد الأديرة .. ويتحدث إلى فوشليفان..

عرفه مادلين ... ودار حديث بينهما .. قال له :

– مادلين كيف لا أعرفك وأنت أنقذت حياتى من تحت المركبة وعينتنى هنا ..؟!

– لقد عرفتك .. ماذا تصنع فى الحديقة ..؟

– خفت على الزرع من الصقيع فجئت لأغطيه كيلا يصيبه بالتلف ..

– وما هذا الجرس المشدود إلى حزامك ..؟

– السبب أن المكان مليء بالراهبات فإذا سمعن الجرس يبتعدن عنى ..

– وماهذا المبنى ..؟

– إنه دير سان أنطوان .. ولايوجد من الرجال سواى ..

– حسنًا يا أخى .. لقد أنقذت حياتك ذات مرة .. وأنا أنوى البقاء هنا ، فهل تسمح لى ..؟

– دون شك ..

– ألديك غرفة خاصة بك ..؟

– بل ثلاث غرف .. فى مكان لايقترب منه أحد ..



obeikandl.com

– رائع .. لى طلبان فهل تنفذهما ..؟

– قل فأطيع ..

– الأول ألا تتحدث عنى لأى شخص ..

– مفهوم ، والثانى ..؟

– ألا تحاول معرفة المزيد من أمرى ؟

– على رسلك ..

– إذن فدعنى أحضر الفتاة ..

– أية فتاة ..؟

– طفلة صغيرة ..

– أهى ابنتك ..؟

– بل حفيدتى ..

– رائع ، ما اسمها ..؟

– كوزيت ..

ذهب البستانى إلى رئيسة الدير وأقنعها بأنه قد شاخ وأنه بحاجة إلى مساعدة ، وأن أخاه موجود لديه وهى فرصة لاتعوض ..



obeikandi.com

رضيت المرأة .. وألحقت جان فالجان بالعمل .. وضمت كوزيت إلى الدير..

قضى جان فالجان وكوزيت ثمانية أعوام فى الدير ..

وسرعان ما بلغت كوزيت مبلغ النساء وأصبحت فتاة رائعة الجمال ..

* * *

obeikandl.com

# ماريوس

تعلقت كوزيت بشاب اسمه ماريوس ..

كان جد ماريوس شيخًا واسع الثراء اسمه جيلنورمان .. وكان له ابنتان ، إحداهما عانس بينما تزوجت الثانية برجل يدعى موغارنسى.. وتوفيت بعد ولادة ماريوس ..

كفل الجد حفيده وأغدق عليه الثروة ..

لكن ما كادت والدة ماريوس تموت حتى ساءت العلاقة بين جيلنورمان الملك وزوج ابنته حليف نابليون .. حنق الملك على موغارنسى حين منحه نابليون لقب البارون ، ولم يلبث البارون أن مات .. وتحدث الخدم عن بطولاته أمام ابنه ماريوس فسعد بما سمع ، وأحل ذكراه من نفسه أروع مكان .

واجه ماريوس جده ، فصاح الجد :

– لاشأن لى بأبيك ولا أحب أن تذكر اسمه هنا ، فالذين خدموا نابليون كانوا قطاع طرق ومجرمين وخونة. غضب ماريوس ... فأبوه ليس لصًّا ولا مجرمًا ولا خائنًا .. وليسقط آل بوربون ، ليسقط لويس الثامن عشر ..

قال الجد :

– فلتذهب من بيتى ..

وانقضت شهور لم يسمع الشيخ فيها شيئًا عن حفيده..

لكن ذات مساء دخل خادم على الجد يقول :

– هل يسمح سيدى بمقابلة مسيو ماريوس ؟

– من ماريوس ؟ دعه يدخل ..

دخل ماريوس فى ثوب رث وبوجه شاحب . فقال له الجد :

– ماذا جئت تفعل هنا ؟

– رحمة بى ياسيدى .؟ لقد جئت أطلب أمرًا واحداً ثم أنصرف..

– ما هو ..؟

– موافقتك على زواجى ..

تريد أن تتزوج وأنت فى الحادية والعشرين ؟ هل لك مهنة؟ وهل تملك ثروة ؟ كم تربح من عملك ؟



obeikandl.com

– لاشيء يذكر ..

– والخطيبة العزيزة لابد أنها واسعة الثراء ..؟

– لاتملك شيئًا مثلى ..

– لن يتم هذا الزواج أبدًا ..

تبددت آمال ماريوس ، فمشى إلى الباب يترنح .. هنا رق له قلب الجد فجذبه وألقى به فى مقعد وجلس أمامه وقال له :

– حدثنى عن التفاصيل .. وإليك مائة فرنك لتبتاع قبعة جديدة..

حكى الشاب لجده كل شيء .. ولما انتهى قال له الجد :

– أيها الأبله لماذا تتزوج فتاة فقيرة بائسة؟!

– امتقع وجه ماريوس ونهض واقفًا وقال بحدة :

– منذ شهور أهنت أبى ، واليوم تهين من سأتخذها زوجة ..

فوداعًا ، وليس لدى ما أقول ..

ثم مضى فى سبيله .. فاندفع الرجل إلى نافذة ونادى

عليه بدون مجيب ..

سمع جان فالجان بأن ثورة على وشك الوقوع لإعلان الجمهورية ، ولذلك قرر الفرار إلى إنجلترا .. وطلب إلى كوزيت الاستعداد للرحيل..

بينما كان ماريوس عائداً إلى بيته سمع ضجة عظيمة وصياح الغوغاء وصوت طلقات نارية .. صادفه صديقه كورفيراك الذى يتقاسم معه غرفته ، فسأله :

– إلى أين تذهب ؟

– لإسقاط الحكومة ..

– إلى أين ؟

إلى المتاريس فى شارع سان أنطوان ..

* * *

# الحقيقة

استطاع جنود الحرس الوطنى أن يبيدوا الثوار فى شارع سان أنطوان . لم يبق على قيد الحياة غير خمسة من الثوار من بينهم ماريوس . . اتفق الخمسة على أن يرتدوا الثياب الرسمية التى غنموها من رجال الحرس الوطنى الذين وقعوا فى الأسر .

وفجأة شاهد ماريوس والد كوزيت . . فرحب به هو وأعوانه . . ثم صاح :

– الآن إلى العمل . . سنجعل الرصاص ينطلق عليهم من النوافذ . . إلى أن ينصرف زملاؤنا، لكن فجأة انطلقت مئات الأعيرة النارية، فتفرق الثوار وتأهبوا للدفاع . .

أبصر جان فالجان جافير فجأة ملقى ويداه موثقتان بحبل من الخلف فأسرع بمد يده وقطع الحبل . . وقال له :

– اذهب فأنت حر . .

حبس جافير أنفاسه من الذهول . . وتابع جان فالجان يقول :

– وأنا مقيم بالمنزل رقم ٧ شارع لوم آرميه ..

وانطلق فى سبيله إلى المقهى .. وهناك سمع أنباء عن مقتل كورفيراك ووجد ماريوس ممدداً على الأرض وقد أصيب برصاصة فى عنقه ، فاقد الوعى ..

حمل الرجلَ الجريحَ وانطلق به بسرعة، فى الوقت الذى كان الجنود يقتحمون المقهى .. لقد أسرع به من باب خلفى .. وعن طريق فوق المجارى استطاع أن ينجو به ..

فتش جيوب الشاب فعثر على ورقة مكتوب فيها :

– اسمى ماريوس مونمارنس . أرجو نقل جثتى إلى بيت جدى المسيو جيلنورمان بالمنزل رقم ٦ شارع كالفير ) ..

أسرع جان فالجان بالمركبة ، يصحبه جافير ، إلى منزل الجد المسيو جيلنورمان..

صاح الجد فى فزع :

– من ..؟ ماريوس ..؟ هل مات ؟ لقد ضحى بنفسه انتقاماً منى.. ويل للتعس .. وويل لى أنا شارب الدماء .

واقترب من الفراش ، وتناول ساعد حفيده وراح يهزه

وهو يقول :

– أيها الوغد القاسى .. إننى مثلك سأموت ..

هنا تحركت أهداب ماريوس ، وفتح عينيه .. فصاح الجد :

– ماريوس .. ولدى العزيز المحبوب .. إنك ستعيش ، الحمد لله..

وأغمى عليه ..

ظل ماريوس لأسابيع بين الموت والحياة ، وهو خلال هذه الفترة لايكف عن ترديد اسم الحبيبة : كوزيت ..

زالت الحـمى .. فكف عن ترديد الاسم .. وذات يوم انحنى الجد عليه وقال:

– عليك يا ولدى العزيز أن تتناول الطعام ليساعدك على الوقوف على قدمك..

فاعتدل ماريوس فى الفراش ، وقال لجده بلهجة جادة :

– إن ذلك يشجعنى أن أقول لك شيئًا ..

– ما هو ..؟



obeikandl.com

– أريد أن أتزوج ..

انفجر الجد يضحك وصاح :

– لامانع عندى .. سوف تتزوج صاحبتك الشابة ..

لم يصدق الشاب أذنيه .. تابع الجد يقول :

– نعم يا ولدى ، فهى أوصت رجلاً كهلاً بالسؤال عنك كل يوم .. وإننى أعرف العنوان . إنه شارع ٧ لوم آرميه أليس كذلك ؟ لقد لاحظت يا ولدى أنك تحبها فأردت أن أزوجك إياها عساك أن تحبنى ..

عانق ماريوس جده وقال :

– شكرًا يا أبى الحبيب ..

– إنك تحبنى ، فقد دعوتنى أباك .. حسنًا سوف ترى الحبيبة كوزيت فى الغد .. بل اليوم ..

وبعد أن تزوج الحبيبان اضطر جان فالجان لمصارحة ماريوس بالحقيقة ..... قال له :

– لدى كلمة واحدة وحسب يا سيدى .. إننى كنت من نزلاء الليمان .

فتح الشاب فمه من الدهشة . لم يفهم قصد صهره . عاد جان فالجان يقول :

– لقد اخترعت حكاية الجرح كيلا أرتكب جريمة تزوير تلغى عقد الزواج .. شعر ماريوس بأنه يترنح ، قال :

– ماذا تعنى ..؟

– إننى سجين سابق . قضيت فى الليمان تسع عشرة سنة بتهمة السرقة .. ثم ألصقوا بى تهمة سرقة أخرى، وأنا الآن هارب ..

– أتقول لى هذا وأنت والد زوجتى ؟

– لست والد كوزيت .. إننى مجرد فلاح بسيط من ( فافيرول ) واسمى جان فالجان وليس فوشليفان ..

– أنت تكذب فأين الدليل ؟

– كلامى هو دليلى ..

نظر إليه ماريوس وهاله أن يراه حزينًا هادئًا فقال :

– إننى أصدقك ..

– إننى عابر سبيل .. ولقد صادفت كوزيت وكانت

يتيمة الأبوين فكفلتها وأحببتها .. أما مبلغ الستمائة ألف فرنك فكان وديعة فى يدى ، وقد رددتها إلى صاحبة الحق فيها ..

– كان عليك أن تحتفظ بسرك لنفسك ..

– كيف وضميرى يطاردنى بلا توقف، ولامفر منه ..

الآن عش أنت وكوزيت فى سعادة ، وانعما بالحب..

هنا دخلت كوزيت وصاحت :

– أهلا بك يا أبى .

– هتف ماريوس : كوزيت ..

صاحت كوزيت فى مرح :

– لماذا لاتخفَّ وتقبلنى ؟ هلم وافعل فى الحال .. ماذا بك ؟

– لست أباك ..

– وماذا أسميك ؟..

– مسيو جان .. فالجان وحسب ..

وسكت ..



obeikandl.com

تكررت زيارات جان فالجان لبيت العروسين .. وذات ليلة كان فى الغرفة فلاحظ أنه لا وجود للنار فى مدفأة الغرفة .. ولما جاءت كوزيت هتفت :

– يا إلهى ، ما أشد البرودة هنا ..

وفى اليوم التالى قالت له كوزيت :

– لقد حدثنى ماريوس حديثًا غريبًا .. لقد سألنى إن كنت أستطيع أن أعيش بثلاثة آلاف فرنك فى العام وهى إيراده من جده وأن أستغنى عن سبعة وعشرين ألفًا هى إيرادى ، فوافقت .. ما معنى هذا يا أبى ؟

– لا أدرى ..

لكنه فهم المقصود من الحديث ..

وانقطع عن الحضور ، ولزم بيته ، وعافت نفسه الطعام فلم يقربه . وذات يوم حاول أن يجلس فى فراشه فلم يستطع ، فتماسك حتى غادر الفراش وتناول ثياب كوزيت وبسطها أمامه .. ووقع نظره على صورته فى المرآة فارتاع، لقد رأى على جبينه طابع الموت، ثم نهض إلى مائدة الكتابة وأغمى عليه .. ثم أفاق .. وشرب بعض الماء ..



obeikandl.com

وهنا سمع طرقات على الباب ..

ذهب تيناردييه للقاء ماريوس فى منزل البارون ..

حيا البارون صاحب المقهى ببرود وسأله :

– ماذا تريد ؟

– لدى سرٌّ وأريد قوله لك ..

– تكلم إذن ..

– سيدى البارون يؤوى فى منزله قاتلاً ولصًّا ..

– فى منزلى أنا ..؟

أدرك ماريوس أن صاحب المقهى يحاول ابتزازه ، فقال له :

– بل هو أنبل شخص فى الدنيا ، فإننى الشاب الذى كان يحمله الرجل، ولقد نجانى من الموت أما أنت يا تيناردييه أو جوندريت فأنت قاتل، وقد رأيتك تنصب لى فخًّا فى غرفتك .. والآن اغرب عن وجهى يا نذل ..

وألقى إليه بورقة ذات المائة فرنك باحتقار شديد ..

وانطلق إلى غرفة كوزيت وهو يصيح :



obeikandl.com

– هلمى يا عـزيزتى فـوراً ، وأنت أيهـا الخـادم اذهب لإعداد المركبة لنذهب إلى ذلك الذى أنقذ حياتى ..

قالت كوزيت :

– هل نذهب لزيارة المسيو چان فالچان ؟

– بل لزيارة أبيك يا عزيزتى .. لقد عرفت الحقيقة ..

بصوت هامس قال جان فالجان :

– ادخل أيها الطارق ..

انفتح الباب وانطلقت إليه كوزيت تحتضنه وتقبله . صاح :

– كوزيت يا عزيزتى ..

– أبى .. أبى ..

– وخلعت قبعتها ومعطفها، وجلست على ركبتيه وقبلته .. فقال بصوت مرتعش:

– ما أشد غباوتى .. كنت أحسب أننى لن أراك .. شكراً لك ياباروِن ..

هنا لم يتماسك البارون نفسه فبكى وهو يقول :



obeikandl.com

– هل سـمـعـت يا كـوزيـت ؟ إنه يشكرنى وهو الذى أنقذ حياتى وضحى بك من أجلى..

قال جان فالجان :

– كفى ..... كفى..

– لماذا لم تذكر أنك الأب مادلين وأنك سامحت جافير، وأنك الذى أنقذت حياتى ؟ هلم فانهضْ إنك ستذهب معنا لنقضى الحياة فى سعادة وسرور ..

رفع جان يده ببطء ليضعها فوق يده، لكنها تهاوت برفق ليسكن إلى الأبد جسده الواهن.. ويرحل عن الدنيا.

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

# مقبرة على بابا

فيسنت بلاسكو إيبانيز

obeikandl.com

# مقبرة على بابا

## فيسنت بلاسكو إيبانيز

* فيسنت بلاسكو إيبانيز

* روائى إسبانى مولود فى بلنسية بالأندلس عام ١٨٦٧م.

* تدور رواياته فى المناطق الريفية بشرق إسبانيا، وبها وصف خلاب حىّ للطبيعة..

* من أشهر رواياته زهرة مايو (١٨٩٥)، الكابينة (١٨٩٨)، دماء ورمال (١٩٠٨)، فرسان القدر الأربعة (١٩١٦).

* أخرج صحيفتين لمحاربة الطغيان فى إسبانيا.

* شغل منصبًا فى حزب الإصلاح الإسبانى، ودخل السجن وتعرّض للنفى مرات عديدة بسبب آرائه السياسية.

* تُوفِّى بالمنفى عام ١٩٢٨م.



obeikandl.com

## * مقبرة على بابا

قال المثال جارسيا :

– اضطررت – تحت إلحاح الحاجة – إلى ترميم الكنائس بما تحوى من آثار ومبان صخرية، ورحلت لفترة طويلة عن بلدى من أجل ذلك العمل..

ذات مرة كلفت بترميم كنيسة بيلوس، وأثناء عملى مع بعض معاونىٍّ رحت أتسلى بغناء مقاطع من الأوبرات الشهيرة مثل عايدة وفاوست. دفع ذلك بعض الجيران إلى أن يأتوا إلينا كل يوم ليراقبوا عملنا، ومن بينهم نسوة معمرات ثرثارات لا هَمَّ لهن غير الوقوف بالساعات، والخوض بالنقد لعملنا..

كانت أرضية الكنيسة من قطع مستطيلة كبيرة من الحجر، وفى الوسط صخرة كبيرة مستديرة، فى مركزها حلقة حديدية تعانى من الصدأ..

كنت واقفًا على الصخرة ذات مساء أتساءل :

– ترى ماذا يوجد بالأسفل ؟!

وعمدت إلى الحلقة أجذبها، وإذا بامرأة اسمها باسكوالا

تدخل وعلى وجهها أمارات الدهشة..

أمضت باسكوالا إلى جوارى المساء على السقالة غير آبهة بالنسوة، تحملق فى وجهى بحدة، كما لو كانت تسألنى عما كنت أفعل بالصخرة؛ إذ لم يسبق لأحدٍ أن فكَّر فى رفع الصخرة من مكانها!

أنهينا عملنا وأزحنا السقالة من مكانها قاصدين مغادرة المكان، وفى هذه اللحظة حاولت المرأة انتزاع سرى، قالت :

– إن أخبرتنى بالحقيقة أحافظ على سرك يا عزيزى.

لم أجد بدًّا من تلفيق حكاية خيالية ظريفة، مع أخذ المواثيق عليها خمسًا وعشرين مرة بأن تكتم السر.

أخبرتها أننى رفعت الصخرة بمفعول السحر الذى أعرفه وحدى، وتحت الصخرة وجدت دهليزًا قادنى إليه سلم خفى أفضى بى إلى عدد من الممرات.. من أحد الممرات انبعث ضوء خافت. حين وصلت إلى نهاية الممر أبصرت قنديلاً قديمًا مشتعلاً، لابد أنه كان موجودًا من آلاف السنين..

فى وسط الغرفة فراش من المرمر يرقد فوقه عملاق ذو

لحية طويلة شهباء مغلق العينين، وإلى جواره سيف ضخم مربوط فى عباءة فضفاضة تبرق كالذهب، وعلى رأسه عمامة تكسوها اليواقيت والذهب، على الفراش عدة جمل مكتوبة بلغة غريبة لا يعرفها سواى، فقرأتها بكل يسر. «هنا يرقد على بابا فى القبر الذى شيدته لأجله زوجته المخلصة سارة وولده العزيز...»

بعد شهر كنت فى مدينة «پلنسية» وسرعان ما علمت بما جرى فى پيلوس بعد أن غادرتها.. أفشت باسكوالا السر لزوجها، فذهب إلى حانة البلدة وأذاعه، فأصيب الكل بالذهول.. لقد عاشوا طوال هذه السنين ولم يعلموا بالأمر إلا بعد أن كشفه لهم غريب.

فى يوم الأحد التالى، حين خرج القس إلى البلدة الصغيرة مَدْعوًّا إلى الغذاء مع أصدقائه، اندفع عدد من أهل البلدة إلى الكنيسة وهم يحملون القضبان الحديدية والحبال والأدوات الثقيلة، لكن لم تتحرك الصخرة بوصة واحدة فصاحت بهم باسكوالا :

– تشجعوا وثابروا، وتذكروا ما يوجد بأسفلها!

فازدادوا حمية واشتعلوا حماسة، وبعد ساعات أفلحوا فى انتزاع الصخرة إضافة إلى جزء من الأرضية.. وانطلق أحدهم يهبط السلم على الدهليز مستعيناً بحبل.. صاحوا فى صوت واحد: ماذا ترى..؟! لكنه صعد وهو ينفض يديه فى حزن .. قال :

– لم أجد سوى أربعة جدران سميكة، وأكوام من التبن العطن..

صرخوا فيه وقد تجمعوا على حافة الفتحة :

– انظر حولك ، فتش بدقة..

هز كتفيه ولم يعلق..

فانطلق سعير الغضب من عقاله، ولاحقت ألسنة النسوة باسكوالا بأقذع الشتائم...

وكانت ذروة المأساة والحظ العاثر حين عاد القس ورأى بعينيه ما حل بالأرضية، فأعلن أنه سيغلق الكنيسة ويرفع الأمر إلى أولى الشأن، ولم يهدأ إلا وقد أقسموا أنهم سيعيدون إصلاح الأرضية وما أصاب الكنيسة من تلف على حسابهم الخاص...



obeikandl.com

سأل أحد الذين استمعوا حكاية المثال جارسيا :

– هل عدت إلى هناك مرة أخرى ؟

– لا بالتأكيد، فقد قابلت بعض أهالى پيلوس فى پلنسية وعدوا الحكاية مزحة، وأكدوا أنهم لم يكونوا من الذين اقتحموا الكنيسة، وأنهم أصابهم الشك فى الحكاية، ودعونى إلى زيارة البلدة وهم يبتسمون فى براءة الملائكة، وفى أعينهم نظرة بما يعتمل فى قلوبهم من نوايا...

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

# الحربـــاء

أنطوان تشيكوف

obeikandl.com

obeikandl.com

# الـحربـــاء

## أنطوان تشيكوف

* **أنطوان تشيكوف** :

* ولد عام ١٨٦٠م وعمل بالطب.

* من أعظم كتاب المسرح والقصة القصيرة فى العالم كله.

* له أسلوب متميز فى القصة القصيرة.. ولقد بدأت موهبته وهو فى السادسة والعشرين.. وكانت أول قصصه القصيرة بعنوان «صلاة الموتى»..

* عكس أدبه حياة المساكين من الفلاحين وأبناء الطبقة الشعبية..

* يتـــعـــاطف مع أبطاله ويـرثى لـهـم من الأوضـــاع الاجتماعية الصعبة..

* كتب العديد من المسرحيات من أهمها «الخال فانيا» و«النورس» و«بستان الكرز» و«الشقيقات الثلاث» عدا مسرحيات الفودفيل ذات الفصل الواحد وأشهرها «الدب»



obeikandi.com

و«الخطوبة» و«اليوبيل»..

* ترجمت أعماله إلى معظم لغات العالم..

* توفى بمرض السل عام ١٩٠٤م.

obeikandl.com

## * الحرباء :

كان أوشوميلوف مفتش البوليس يعبر ساحة السوق وقد ارتدى معطفًا جديداً وكان السكون يخيم فى كل مكان.. وكانت أبواب الدكاكين الصغيرة والحانات تتطلع خائفة مترقبة إلى العالم الذى خلقه الله وكأنها تلك الأفواه العديدة الجائعة، وقد خلا المكان حتى من الشحاذين.

وفجأة سمع أوشوميلوف صوتًا آدميًّا يقرع أذنيه ويقول: «أهكذا تعض، أهكذا، أيها الكلب الحقير! حذار أن يفلت أيها الصبية؟ لم يعد العض الآن من الأمور المسموح بها. اقبضوا عليه! آه!».

وسمعت زمجرة أحد الكلاب. والتفت أوشوميلوف صوب الصوت وهنا وقع بصره على هذا المشهد، كلب يخرج عَدْوًا من متجر أخشاب للتاجر بيشوجين، ويسير على ثلاثة أرجل ومن خلفه رجل يلبس قميصا مزركشًا مقوى بالنشا ويميل بكل جسمه إلى الأمام وقد أمسك بالكلب من أحد ساقيه الخلفيتين. ثم سمعت زمجرة أخرى تلاها هذا الصياح. «لاتدعوه يذهب!» واندفعت

من داخل الدكاكين وجوه ساهمة وفى أقل من لمح البصر تجمع جمهور غفير حول متجر الأخشاب وكأنه قد انبجس من باطن الأرض.

وصاح الكونستابل يقول لرئيسه: «إن هذا أشبه بتجمهر عام يا صاحب السعادة!».

وعاد أوشوميلوف أدراجه متجهًا نحو الجمهور. فوجد الرجل ذا الصدرية يقف أمام باب المتجر رافعًا يمنى يديه، ويعرض أصبعه الدامية على الجمهور وهو يكرر قوله: «لن تفلت من العقاب أيها الشيطان»، أما أصبعه فكان يبدو كعلم النصر المرفوع ولم يلبث أوشوميلوف أن عرف هذا الشخص «خريوكين» الصائغ فى وسط الجمهور بالضبط استلقى الكلب فوق الأرض، وقد باعد ما بين ساقيه الأماميتين، وجعل جسمه كله لا يكف عن الارتعاد وهو جرو من نوع «البروزى» أبيض اللون مدبب الأنف تنطبع على ظهره بقعة صفراء. وكانت عيناه المليئتان بالدموع تعبران عن آيات البؤس والرعب.

شق أوشوميلوف طريقه بين الجمهور بالمنكب والذراع

ثم صاح متسائلاً. «ماذا جرى؟ ماذا تفعلون هنا؟ لماذا تشهر أصبعك هكذا؟ من منكم كان يصيح؟».

أخذ «خريوكين» يسعل فى قبضة يده ثم بدأ يقول: «كنت يا صاحب السعادة أسير فى طريقى وديعًا كالحمل، حيث أقبلت إلى هنا لشراء بعض الخشب من متجر متريس فهجم على هذا الوغد فجأة ودون أى سبب، وعض أصبعى. وأرجو أن تسامحنى يا صاحب السعادة إذا قلت إننى رجل عامل.. وصناعتى فى غاية الدقة والتعقيد.

فمرهم أن يدفعوا لى تعويضًا، إذ ربما بقيت عاجزًا عن تحريك أصبعى أسبوعًا كاملاً. ألم يأمر القانون يا صاحب السعادة بالضرب على أيدى الحيوانات الجارحة. الواقع أنه لو انطلق كل منها يعض من يقابله لأصبحت الحياة عبئًا لا يحتمل.. فألقى أوشوميلوف إلى الكلب بنظرة قاسية ثم انطلق يقول وهو يسعل ويرمش بأهداب عينيه. «هيه.. حسن جدًا.. كلب من هذا؟ لن ينجو من عقابى. لابد أن أعلم الناس كيف يتركون لكلابهم الحبل على الغارب، لا لقد آن الأوان للقيام بعملٍ ضد أولئك السادة الذين لا

يريدون الخضوع للقوانين بشتى أنواعها لكى تغدو وتروح دون رقيب، سأريه ما ينبغى أن... ثم استمر يقول موجهًا كلامه إلى الكونستابل: يا ألدرين ابحث لى عمن يملك هذا الكلب وافتح محضراً. ويجب أن يعدم هذا الكلب فوراً. فلعله مصاب بالسعار.. إنى أسأل ، كلب من هذا؟ وصاح صوت من بين الجمهور يقول: «أظن أنه كلب الجنرال زيجالوف».

وهنا تمتم المفتش قائلا: «الجنرال زيجالوف! هيه. ساعدنى يا ألدرين على انتزاع معطفى.. أوه، ما أشد حرارة الجو! لا شك أن الجو ينذر بالمطر، ثم التفت إلى خريوكين وقال: «هناك شيء لم أستطع فهمه، وكيف تأتَّى للكلب أن يعضك؟ كيف استطاع الوصول إلى أصبعك وهو ذلك الكلب الصغير وأنت ذلك العملاق الكبير؟ لابد أن تكون خدشت إصبعك بمسمار ثم ألقيت فى روعك أن تقبض ثمن ما اقترفت يداك. إنى أعرفكم أيها الناس ما أنتم إلا عصابة من الشياطين!».

وصاح أحد الحاضرين قائلا: «لقد حرق طرف أنف الكلب بسيجارة مشتعلة على سبيل المزاح، يا صاحب

السعادة، فنهشه الكلب، إذن فليست هناك مسئولية على أحد! فهذا الشخص المدعو خريوكين دائم البحث عن الشر يا صاحب السعادة!».

ورد عليه خريوكين قائلاً: دعنا من كذبك أيها الأحول! إنك لم ترنى أفعل ذلك، فلماذا تكذب! إن صاحب السعادة رجل حكيم، ويعرف من منا يكذب ومن منا يقول الحقيقة التى ترضى الله. وأنا على استعداد للمحاكمة إذا ثبت أنى أكذب. ويقول القانون.. لقد أصبح الناس جميعًا متساوين وأنا شخصيًا لى أخ فى «البوليس»، إذا كان يعنيك أن تعرف ذلك..

وارتفع صوت من بين الحاضرين .. لا تكابر!

وهنا انبرى الكونستابل يقول بصوت عميق رزين: «كلا ليس هذا كلب الجنرال، ليس لدى الجنرال كلب من هذا القبيل إن كلابه كلها من كلاب الصيد».

فسأله المفتش: «أواثق أنت مما تقول؟»

وأجاب الكونستابل: «كل الوثوق، يا صاحب السعادة».

فقال المفتش: «إنك على حق! فكلاب الجنرال غالية الثمن حسنة التربية، أما هذا – فانظر إليه! إنه جرو قبيح هزيل! إنى أتساءل كيف يتأتى لإنسان أن يقتنى مثله؟ أأنتم مجانين؟ لو أن مثل هذا الكلب وجد فى موسكو أو فى بطرسبرج أتدرون ماذا كان يحل به؟ لو حدث ذلك لما حفل الناس بالقانون، ولتخلصوا منه فى طرفة عين. أنت ضحية يا خريوكين، فلا تدع صاحبه يفلت من العقاب لابد أن يلقى جزاءه! نعم لقد آن الأوان».

فقال الكونستابل من جديد وكأنه يكلم نفسه: «ومع ذلك فقد يكون كلب الجنرال. لا يستطيع أحد أن يبت فى ذلك من مجرد النظر إليه. فقد رأيت كلبًا مثله ذات يوم فى حظيرة الجنرال».

وصاح صوت من بين الجمهور يقول: «لا جدال فى أنه كلب الجنرال!».

فانطلق المفتش يتمتم بقوله: «هيه، ساعدنى ياأدرين على ارتداء معطفى.. لقد شعرت بهبة ريح. هأنذا أرتعد. خذ الكلب إلى بيت الجنرال واسألهم قل لهم إننى وجدته وبعثت به إليهم. وارجوهم ألا يطلقوه فى الشارع فلعله



obeikandl.com

كلب ثمين، وقد يصيبه الضرر إذا راح كل فظ يسلى نفسه بإحراق أنفِه بالسجائر، فالكلب حيوان رقيق أما أنت أيها الأحمق فاخفض يدك! وكف عن عرض أصبعك القبيح على الملأ فالخطأ خطؤك أنت».

ولم يكد المفتش يتم حديثه حتى سمع أحد الحاضرين يقول: «ها هو ذا رئيس حظيرة الجنرال فاسألوه.. ها هو ذا برخور أقبل هنا أيها الشيخ، انظر إلى هذا الكلب.. أهو من كلابكم؟».

فأجاب برخور: «ماذا تقول؟ لم يحدث قط أن اقتنينا كلبًا من هذا القبيل!».

فقال أوشوميلوف: «لم نعد فى حاجة إلى أى تحقيق آخر فهو كلب ضال وليست هناك أى جدوى فى وقوفنا هنا وتضييعنا الوقت فى الثرثرة، فلقد أخبرتكم أنه كلب ضال، فهو كلب ضال. اقتلوه، وقد انتهت المسألة».

وواصل بروخور كلامه قائلاً: «إنه ليس كلبًا من كلابنا. ولكنه كلب شقيق الجنرال الذى وفد علينا منذ وقت قصير، فجنرالنا لا يهتم أى اهتمام بهذا النوع من الكلاب.

أما أخوه، فإنه الآن . . » .

فصاح أوشوميلوف متلهفًا وقد انفجرت أساريره عن ابتسامة كلها حماس: « ماذا، هل حضر أخو الجنرال؟ السيد فلاديمير إيفانتش؟

يا للعجب ! وأنا لم أعرف ذلك حتى الآن .

ورد بروخور: « نعم هذه هى الحقيقة » .

فواصل أوشوميلوف كلامه قائلاً: « نعم، يا للعجب! أراد أن يرى أخاه، وأنا لا أعلم ذلك! إذن فهو كلبه؟ إنى فى غاية السرور!

خذه . . إنه كلب لطيف صغير! أيمكن أن يعض أصبعه؟ ها ها ها!

إلىَّ أيها الكلب العزيز، لا ترتعد . . إنه جوعان . . ياله من جرو جميل! » ونادى بروخور الكلب وخرج به من متجر الخشب وانفجر الجمهور بالضحك من خريوكين. وصاح أوشوميلوف مهددًا خريوكين وهو يلف معطفه الجديد حول جسمه: « سأسوى حسابك فيما بعد »، ثم اجتاز الساحة.

obeikandl.com

# الدوقة والجواهرى

فرچينيا وولف

obeikandl.com

# الدوقة والجواهرى

## فرچينيا وولف

* **فرچينيا وولف** :

* قاصة، روائية، كاتبة مقال شهيرة.

* مولودة بمدينة لندن عام ١٨٨٢م، وتلقت تعليمها بها.

*تزوجت بليونارد وولف وانضمت معه إلى جماعة بلوزمبرى الأدبية.

* أسس الزوجان دار نشر هوجارث وطبعا أعمال إليوت وكاترين منسفيلد وجروترد شتاين.

* اشتهرت بالكتابة بأسلوب تداعى المعانى وتيار الوعى، وتغلغلها فى نفوس أبطالها.

* من أشهر رواياتها الفنار (١٩٢٧م)، السيدة دلواى (١٩٢٥م)، أورلاندو (١٩٢٨م)، ولها مجموعة قصص بعنوان (موت العُثَّة).

* ماتت منتحرة عام ١٩٤١م.



obeikandl.com

## * الدوقة والجواهرى

عاش أوليفر بيكون فى الجزء العلوى من منزل مطل على ( جرين بارك ) فى شقة ضخمة مقاعد وثيرة؛ وأرائك مبثوثة فى أرجاء الحجرات، مزدانة بالرسم والأشكال. أما نوافذ الشقة الثلاث فلها ستائر من الحرير الفاخر... تطل النوافذ على الأسطح اللامعة للسيارات الفخمة المصطفة فى شوارع بيكادلى الضيقة.

لا يمكن للخيال أن يصل إلى ذلك الموقع الرئيسى، فى الصباح فطوره جاهز على صينية يقدمها الخادم، والخادم يطوى له كُمَّى معطفه القرمزى، ويفتح له رسائله بأظافره المدببة الطويلة فيحيط بأخبار الدوقات والكونتات والفيكونتات والسيدات الجميلات، ثم يقوم هو ويغتسل، ويأكل الخبز المحمص، ويقرأ صحيفته على ضوء نار المدفأة المتأججة.. ويقول لنفسه :

عليك أن تتماسك يا أوليفر، يا من بدأت حياتك فى زقاق ضيق، أنت يا من .. ثم ينظر إلى ساقيه فى بنطلونه الجديد، وإلى حذائه البراق. البنطلون من القماش بديع،

وقد حاكه أشهر ترزى سافيل رو، لكنه يعود إلى تأمل نفسه عارية، صبى ضئيل مهزول فى الزقاق المعتم. ذات مرة كانت غاية طموحه أن يبيع الكلاب المسروقة للسيدات المتحذلقات فى هوايت شابل. ذات مرة فعلها فراحت أمه تولول وتندب حظها :

آه يا أوليفر، آه، يا أوليفر! متى تحس يا ولدى؟ بعدها تاجر فى الساعات الرخيصة، وحمل حقيبته إلى أمستردام؛ كان يسخر، وهو يستعرض شريط الذكريات، من أوليفر الصغير! أجل، لقد أثرى من ثلاث لآلئ ومن عمولة مجزية من زمردة باعها.

انطلق داخلاً إلى الحجرة الخاصة فى خلفية المتجر فى هاتون جاردن، حيث الموازين والخزانة، والعدسات المكبرة، بعدها، بعدها..

عاد إلى السخرية، حين اجتاز المصاعب التى يمر بها الجواهريون فى الأمسيات الحارة وهم يناقشون الأسعار، ومناجم الذهب واللآلئ، والتقارير التى ترد من جنوب إفريقيا، قد يضع بعضهم إصبعه فى أنفه ويهمس وهو يمر:

هم ... مم ..

ليس أكثر من همهمة، أو وكزة فى الكتف، أو إصبع فى الأنف، أو شائعة تنتشر بين جماعة الجواهريين فى هاتون جاردن ذات مساء حار، أوه، كم مر من السنين الآن.. ! لا يزال أوليفر يشعر بها تطن فى أذنيه: الهمسات، الوكزات، و..«انظروا إليه، أوليفر الجواهرى الشاب، ها هو سائر..).

كان وقتها صغيراً، بدأ يرتدى الثياب الفاخرة والقبعة الأنيقة، ويقتنى سيارة، ويرتاد بيوت الأزياء والمسارح، وأصبح له فيلا فى ريشموند مطلة على النهر، ولها سياج من الورود الحمراء اعتادت سكرتيرته الشابة أن تقطف إحداها كل صباح لتعلقها فى عروة سترته.

قال أوليفر وهو يمد ساقيه أمامه :

وهكذا، وهكذا..

ثم توقف عند صورة السيدة العجوز فى الإطار، ورفع يديه وقال:

لقد حافظت على وعدى، وكسبت الرهان.

أعنى صاحب صاغة (جواهرى) فى لندن، لكن أنفه

كان يزعجه، فهو طويل ومفلطح كخرطوم الفيل، وحاسة الشم عنده قوية كالخنزير البرى الذى يشم عبير الأرض الخصبة ها هو يتحسس اللؤلؤة فى رباط عنقه، ويصلح من هندامه، ويلتقط قفازيه وعكازه، ويتمايل وهو نازل الدرج، نصف ساخط على أنفه الضخم وهو يمضى إلى بيكادللى.

يتمايل بخفة وهو سائر، كجمل يتأرجح على الجنبين فى حديقة الحيوان، يسير فى الممرات الممهدة، حيث يحتشد البقالون وزوجاتهم يأكلون طعامهم من الأكياس الورقية ويلقون بالأوراق الخالية على الممرات.. الجمل يكره البقالين، ويزدرى حمولته، ويرى البحيرة الزرقاء، ومجموعة النخيل قبالتها.

ينحدر الجواهرى الكبير إلى بيكاديللى فى أكمل زينة، مختالا بقفازيه وعكازه، إلى أن يصل إلى المتجر الصغير المعتم، الشهير فى فرنسا وألمانيا والنمسا وإيطاليا وأرجاء أمريكا، المتجر المعتم فى أحد الشوارع الفرعية من بوند ستريت.

كالعادة يسير بخطوات واسعة صامتًا، مارًّا بالرجال الأربعة، الكهلين: مارشال وسبنسر، والشابين: هاموند ويكس.

نهضوا جميعًا ينظرون إليه فى حسد ! دخل وأغلق دونه باب حجرته الخاصة، ثم أزاح رتاج النافذة، فتسللت إلى أذنيه صيحات بوند ستريت، وزمجرة المرور، والأضواء تنعكس على الحجرة لمح الشجرة ذات الورقات الخضراء الست الوقت يونيو؟! لم تعد الفتاة السكرتيرة تعلق الوردة فى عروة سترته، فقد تزوجت صاحب مصنع الجعة.

تأوه، وصهل، قال لنفسه : وهكذا، وهكذا..

ضغط زرًّا فى الحائط فانفتح باب سرى خلفه الخزائنُ السِّتُّ الصلبة، كلها من الصلب المصقول! أدار مفتاحًا فى كل خزنة فانفتحت جميعًا، فى خزانة قطعة لباد كثيفة من المخمل القرمزى، بداخلها حلى، وأساور، وقلادات وحلقات وتيجان وأكاليل ذهبية، وأحجار نفيسة فى علب، ويواقيت وزمرد، وماسات ولآلئِ.. كلها تتلألأ، بل تتوهج كالحريق وتشع أضواؤها فتبهر العيون وتغشى الأبصارَ.

قال أوليفر وهو ينظر إلى اللآلئ: دموع !

وقال وهو يرمق اليواقيت : دم القلب !

وقال وهو يحدج الماسات: بارود .. يكفى لنسف ماى فير .. عاليًا، عاليًا، عاليًا !

وألقى رأسه إلى الخلف وهو يصهل كالجواد.

رن التليفون فوق الطاولة بصوت لا يكاد يسمع، فأغلق الخزانة، وقال: بعد عشر دقائق وليس قبلها، جلس إلى مكتبه وهو يتطلع إلى صور أباطرة الرومان المنقوشة على أكمام سترته، مرة أخرى إذا به يتعرى ويصبح الصبى الضئيل يلعب البلى فى الأزقة، حيث كانوا يبيعون الكلاب المسروقة فى أيام الآحاد. كان ذلك الصبى الضئيل المراوغ الداهية الذى يدس أصابعه فى طشوت أمعاء الحيوانات وفى أوانى السمك. والذى يروغ فى الزحام؛ كان نحيلاً، رشيقًا، مفتوح العينين كالصخرة الملساء.

ها هو الآن، الآن وعقارب الساعة قد تحركت من الساعة الواحدة إلى الساعة الرابعة .. والدوقة بانتظاره؛ دوقة لامبون سليلة مئات الأمراء، تنتظر أن يأذن ويراها.

ومرت الدقائق العشر.. ثم صوت خطوات وئيدة رقيقة تقترب وحفيف ثوب فى الرواق انفتح وظهر هاموند يعلن:

– جلالتها..

نهض أوليفر، فقد سمع بجلاء حفيف ثوب الدوقة وهى قادمة فى الممر، ثم لاحت لناظريه عند الباب يسبقها شذا عطرها الفواح وخيلاء وكبرياء وتعال وهى تلوح بيديها.

جلست فى أنفة أمام أوليفر بيكون؛ أعظم جواهرى، وسط خليط من الألوان الخاطفة: أخضر، وردى، بنفسجى، ألوان قوس قزح، وبأصبع يومئ إلى الرياش الفاخرة، والحرائر كانت على بدانة، ضخمة، تتحرك فى ثوب حريرى وردى، تحمل مظلة مرسوم عليها طاووس يزهو بريشه البراق، طوتها وهى تجلس على المقعد ذى الذراعين قائلة:

صباح الخير يا سيدى بيكون.

ونزعت قُفَّازها الأبيض، فانحنى أوليفر تناوله، وشرعا فى المراوغة؛ كانا صديقين وعدوين أيضًا! هو أستاذ فى المناورة وهى أستاذة؛ كلاهما يحتاج إلى الآخر ويخشاه،

كلاهما يشعران بذلك كلما التقيا فى الحجرة الخلفية، والأضواء الفضية تنعكس من الخارج، وتبدو للعيان الشجرة ذات الست ورقات، وضجة الشارع تصل إلى سمعهما عن بعد، وخلفهما الخزائن.

قال أوليفر برقَّة :

واليوم، ماذا أقدم لك يا دوقة ؟

فتحت الدوقة حقيبتها وهى تتنهد أخرجت كيساً من الحرير الأصفر سقطت منه اللآلئ: عشر لآلئ، متدحرجة على المكتب، كبيض طائر سماوى.

قالت: هذا كل ما بقى لى يا عزيزى بيكون، كانت اللآلئ تتدحرج على المكتب برَّاقة، فى تألق خلاب..

وتابعت فى أسى :

إنها لآلئ قلادتى . كل ما بقى لى ..!

انحنى أوليفر . تناول لؤلؤة بين أصبعيه، كانت مستديرة ومصقولة، لكن أهى أصلية أم زائفة؟ أتعاود الدوقة الكذب؟ أتجرؤ؟

رفعت أصبعًا إلى شفتيها هامسة: آه لو يعلم الدوق..!

ستكون مأساة ، يا عزيزى بيكون .. هل ستقامر من جديد؟

مثل النحلة راحت تطن قائلة: ذلك الأفاق، النذل ..! أكان زوجها ذلك الرجل بارز الوجنتين، الدوق النذل بسوالفه الطويلة الذى أدمن المقامرة، هل حقًا لو يدرى بما تفعله يمزقها إربًا ويطؤها كالحشرة؟

وتطلع أوليفر إلى الخزانة وهو يفكر، قطعت أفكاره وهى قائلة :

لأجل أرامنت، ودافنى ، وديانا..

كانت الفتيات الثلاث أرامنت، ودافنى، وديانا هن بناتها الثلاث... يعرفهن ومعجب بهن، نظرت إليه ودموعها تنساب فوق خديها كاللآلئ، تفسد زينة خديها. قالت :

لقد استودعتك كل أسرارى ، ثم تابعت هامسة : ياصديقى الكهل، صديقى الكهل.. !

صديق كهل ! صديق كهل !

ثم سألها : كم تريدين ؟

مسحت دموعها، وهمست : عشرين ألفًا.

جس اللؤلؤة بين أصبعيه: زائفة هى أم أصلية؟ سوف يقرع الجرس، فيحضر موند أو سبنسر ويقول له: خذها واختبرها. مد يده إلى الجرس فسألته قاطعة عليه الطريق :

أأنت قادم فى الغد؟ سوف يحضر رئيس الوزراء بنفسه.. وتوقفت، ثم تابعت : وديانا، فارتدت يده عن الجرس. نظر إليها، إلى خلفية المنازل فى بوند ستريت. لكنه رأى بدلا منها النهر، وأسماك السلمون تتدافع، ورئيس الوزراء ، وصورته هو فى صديره الأبيض، ثم ديانا.

نظر إلى اللؤلؤ فى يده، وكانت عينا الدوقة ترقبانه.

قالت فى توجع : عشرون ألفًا بشرفى !

سحب دفتر الشيكات واستخرج قلمه وكتب : عشرون.. ثم توقف؛ إن عينى السيدة العجوز فى الصورة ترمقانه، عينا أمه .. تحذرانه: أوليفر ! كن فتى حساسًا لا مغفلاً !

توسلت إليه الدوقة قائلة :

– أوليفر ! أأنت آت لقضاء عطلة الأسبوع معنا ؟

ها هو أوليفر من جديد لا بيكون .. وحده فى الغابة مع ديانا، يمتطيان جوادين.

كتب : عشرون ألفًا، ثم وقّع الشيك وناولها إياه :

– تفضلى !!

عادت الخيلاء وهى تنهض عن مقعدها، والكهلان سبنسر ومارشال، والشابان هاموند وويكس خلف الحاسب يرمقونه فى حسد وهو يقودها إلى الباب ملوحًا بقفازه الأصفر، وهى تحمل: شيكًا بعشرين ألفًا من الجنيهات.. بتوقيعه، وتقبض الشيك بإحكام، أغلق أوليفر باب حجرته الخاصة وهو يتساءل :

– هل هى أصلية أم زائفة ؟

– اللآلئ العشر على المكتب. حملها يفحصها بالعدسة المكبرة..

– هذا إذن كل نصيبه من الدنيا : العفن حتى النخاع ! تأوّه وهو يرفع يديه كما لو كان يطلب العفو من السيدة العجوز فى الصورة : سامحينى يا أماه !

– إنه يعود الصبى الضئيل فى الأزقة، حيث كانوا يبيعون الكلاب أيام الأحد..

همس وهو يضم راحتيه معًا : لأنها ستكون عطلة طويلة !

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

# الإخوة كرامازوف

فيدور دوستويفسكى

obeikandl.com

obeikandl.com

# الإخوة كرامازوف

## فيدور دوستويفسكى

ولد «فيدور دوستويفسكى» فى (١١ من نوفمبر سنة ١٨٢١م)، فى بناء ملحق بمستشفى حكومى للفقراء فى «موسكو» حيث كان يعمل والده طبيبًا مقيمًا، واكتسب حياته منذ الطفولة طابع الشقاء الذى انحفر عميقًا فى نفسه ووسمها بالحزن والمعاناة، فقد وُلِدَ فى أسرة كثيرة الأبناء بلغ عدد أبنائها سبعة، أربعة ذكور وثلاث إناث، وكان والده يتصف بالبخل والطبع القاسى مع زوجته وأطفاله، فى حين كانت أمه وديعة، مرهفة الإحساس، ذواقة للأدب، وكان والداه يتقنان اللغة الفرنسية التى كانت سائدة فى الأوساط الفنيّة والمثقفة الروسيّة فى القرن التاسع عشر، بالإضافة إلى اللغة الروسية.

تُوفِّيَتْ والدة «دوستويفسكى» عام (١٨٣٧م)، وبعد مرور عامين على وفاة والدته – فى عام (١٨٣٩م) – قُتِلَ أبوه على يد فلاحيه، إذ كان والده قد استطاع شراء قرية صغيرة، وكانت معاملته لفلاحيه شبيهة بمعاملته لأسرته،

فلم يتحمل الفلاحون فقتلوه، ولم يُعْرَف القاتل بالتحديد.

التحق «دوستويفسكى» بمدرسة الهندسة العسكرية فى العاصمة «بطرسبرج»، وتخرج فيها عام (١٨٤٤م)، وأصبح ضابطًا مهندسًا إلا أنه لم يستمر فى هذه المهنة، ولم يستطع التأقلم معها، ولذلك فإنه تحول كلية نحو الأدب، وتفرغ للإبداع الأدبى، وامتاز بالقدرة على البناء الدرامى للقصة، وعلى تصوير نماذج بشرية خالدة، وقد عده النقاد من أعظم الكتاب الإنسانيين فى العالم.

وفى عام (١٨٤٦م) أصدر «دوستويفسكى» روايته الأولى «المساكين»، وهو فى الرابعة والعشرين من عمره؛ فأدهش «بيلنسكى» الناقد الشهير بموهبته الفذة وقدرته على محاكاة الواقع وشخصياته المميزة ذات البناء النفسى المركب.

تعرف «دوستويفسكى» على مفكر ثوريّ روسيّ اسمه «ميخائيل بتروشيفسكى»، وأخذ يتردد على حلقته الثورية منذ عام (١٨٤٧م)، وكانت الحلقة تناقش الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى «روسيا»، وكان

« دوستويفسكى » عضواً نشيطًا فيها، ودعا إلى الثورة، وانتهى أمر الحلقة باعتقال أعضائها فى عام ( ١٨٤٩م )، إذ قام أحد أعضائها بالوشاية، فاعتقل ستة وثلاثون عضواً فى حلقة « بتراشيفسكى » بينهم « دوستويفسكى » .

ووُضِعَ فى زنزانة منفردة فى قلعة « بطرس وبولس » فى مدينة « بطرسبرج » لمدة ثمانية أشهر، وصدر الحكم عليه بالإعدام، لكنه أُنقِذَ فى اللحظات الأخيرة حين سيق إلى ساحة الإعدام تمهيداً لتنفيذ الحكم فيه، فقد وصل أمر من الإمبراطور بتخفيف حكم الإعدام إلى الحكم بالسجن فى « سيبريا » . فقضى أربع سنوات فى السجن الذى أطلق عليه « منزل الأموات » ، وبعد أن أفرج عنه بسنوات كتب روايته « الجريمة والعقاب » ، وبعدها « الأبلة » ، ثم « الإخوة كارامازوف » .

وقد عانى « دوستويفسكى » من مرض الصرع، ولذلك فقد كان عمله الأدبى هو وليد أعصاب متشنجة مرتجفة، وقد وصل « دوستويفسكى » إلى ذورة الفن بفضل مرضه الذى هو حسب قاعدة « ستاندل » إيجاد إحساسات جديدة .

وتتسم قصص «دوستويفسكى» بأن أبطالها يغلب عليهم الإحساس والذكاء وخيال فوق العقل، وتكاد تخلو جميعًا من العقدة إلا القليل جدًا، وهو فى قصصه يتناول الواقع، وتفيض بالمشاعر الإنسانية كالرحمة والحنان والإخاء والمحبة.

يرى بعض النقاد العالميين فى قصة «الجريمة والعقاب» تعبيرًا صارخًا عن نزعة صاحبها الدينية، وإيمانه أن على الإنسان أن يأثم وينال عقابه وعذابه كى تتطهر روحه وتخلص من أدرانها، وقد عدها بعضهم من أروع الأعمال الأدبية فى تاريخ الأدب العالمى، وتتميز بأمانتها فى تصوير الأوضاع الظالمة التى تسيطر على المجتمعات الإقطاعية الفاسدة، وتدفع الناس الذين يحيون فيها إلى اقتراف الجرائم، والتردى فى حمأة الرذائل.

وتُوفِّى «دوستويفسكى» عام (١٨٨١م) عن عمر يناهز الستين بعد أن أثرى الأدب العالمى بعدد كبير من روائع الروايات التى تركت بصمات واضحة فى مسيرة الأدب والفن.

## * رواية الإخوة كرامازوف :

رواية الإخوة كرامازوف تعد أعظم ما كتب دوستويفسكى، وهى معرض مزدحم بالدراسات النفسية والخواطر الفلسفية ، يقول عنها العلامة النفسى فرويد : « والإخوة كرامازوف هى أعظم رواية كتبت ، وقصة كبير المحققين فى محكمة التفتيش الواردة بها إحدى القمم الشَّمَّاء فى الأدب العالمى وقل أن تستطيع المبالغة فى مدحها .. ولايمكن أن يكون من قبيل المصادفة أن تدور حوادث ثلاث روايات من الطُّرف الأدبية الباقية على الدهر حول جريمة قتل الوالد . وهى « الملك أوديب » و« هاملت » و« الإخوة كرامازوف » .

وقد بدأ دوستويفسكى بنشر هذه الرواية مسلسلة فى صيف سنة ١٨٧٨م وظهرت كاملة فى كتاب سنة ١٨٨٠م، ولكن بعض موضوعاتها كانت تشغل بال دوستويفسكى منذ سنة ١٨٧٠م فقد كتب فى تلك السنة إلى صديق له يقول : إنه ينوى كتابة رواية عن مرتكب الخطيئة الكبير فى خمسة أجزاء ، وأمكن بعد الاطلاع على

مذكرات دوستويفسكى الموجودة فى إدارة المحفوظات الروسية معرفة أن عدداً من الشخصيات التى كانت ستظهر فى هذا الكتاب الضخم الذى كان يهدف إلى كتابته قد ظهر فى رواية " الممسوس " ورواية "الإخوة كرامازوف " ، وموضوع رواية " الملحد" وهى إحدى الروايات التى لم يكتبها يبدو كذلك فى تفكير إيفان كرامازوف – أحد الشخصيات البارزة فى رواية "الإخوة كرامازوف " – عن وجود الله ، وكان دوستويفسكى ينوى أن يسترسل فى سرد مغامرات أليوشا – أحد الإخوة – وما عرض له من صنوف الغواية ولكن موته حال دون ذلك .

وقد رمى دوستويفسكى بهذه الرواية إلى مقاومة المادية الفلسفية، وفقدان العقيدة والأفكار الأوربية عن العلم ، التى طغت على عقول الشبان الروسيين فى عهده ، فقد كتب إلى أحد أصدقائه يقول: "يحاول الناس بكل ما أوتوا من جهد إنكار الخالق المقدس وملكوت الله ومعناه". وفيدوركرامازوف والد الإخوة الذين يحملون هذا الاسم وولده إيفان وابنه غير الشرعى سمرديا كوف يمثلون نزعة إنكار وجود الله والمادية الغالبة.

وتبدأ الرواية بالصراع بين الأب العجوز وابنه ديمترى على امتلاك جروشنكا والاستئثار بها ، ويسفر هذا الصراع عن قتل الأب الذى قام به أحد أبنائه فمن منهم القاتل ؟ وقارئ هذه الرواية ينتقل فى ثلاثة مستويات ، وهى مستوى حياة أسرة كرامازوف، ومستوى لغز حادث قتل الوالد ومستوى التفكير الفلسفى الذى تضمنته الرواية . .

والابن الأكبر ديمترى يمثل الاسترسال مع الرغبات الجامحة والشهوات المنطلقة بغير عنان وعدم القدرة على السيطرة على النفس، وأخوه إيفان يمثل كبرياء المعتزين بالعلم والذين فقدوا يقينهم الدينى وعذبت نفوسهم الشكوك ، وأليوشا أصغر الإخوة يمثل النزعة الدينية، ويصل دوستويفسكى إلى قمة الإجادة الفنية فى تصويره لرأس الأسرة فيدور كرامازوف ، فهو رجل تتمثل فيه القوى الشيطانية ، وهو مريد كثير العورات والخسائس غارق إلى أذنيه فى الشهوات الوضيعة والأعمال المستنكرة ولا يحاول إخفاء فجوره ودعارته ، بل يحلو له أن يعلنهما ويفاخر بهما ، ولايصده ضمير عن ارتكاب الموبقات والإمعان فى ذلك ، وقد وصلت فيه النفس الإنسانية إلى أعمق

منحدرات السقوط والتسفل والتمرغ فى الأقذار والأوحال، وقد ننتقص أعماله ونستفظع أقواله ، ولكن لايسعنا مع ذلك كله إلا أن نعجب من فرط قوة حيويته وشدة تغلغل جذوره فى الأرض ، ودوستويفسكى يدينه باعتباره مذنباً ولكن فى اكتفاء هذا الرجل العربيد المهرج بنفسه قوة غريبة الشأن .

وقد أجاد كذلك دستويفسكى تصوير شخصية سمردياكوف وهو ابن فيدور غير الشرعى من الخادمة البلهاء الفتاة ليزافيتا .

يجيد دوستويفسكى الحديث عن أصغر الأبناء .. القديس أليوشا..

يقول فى روايته .. الفصل الثانى :

كان عمر أليوشا فى ذلك الحين عشرين عاماً، وعمر إيفان الرابعة والعشرين ، وعمر ديمترى السابعة والعشرين..

أليوشا مجرد إنسان يحب الغير ، وقد اختار حياة الرهبنة؛ لأنها وسيلته الوحيدة للتحرر من عبودية الدنيا وأطماعها ..

كان دافعه إلى ذلك الاختيار حبه الذى يقرب من العبادة للأب، زوسيما نائب رئيس الدير ..

لم يزل أليوشا يتذكر أمه بكل حب .. وقد تعلّق بأذيال الصمت زهداً فى الدنيا و الشهرة ..

لقد أغمض عينيه عن عيوب أبيه وأصمّ أذنيه عن فضائحه .. وحاول أن يحبه ..

وقد قابله الوالد بالصد والشك ، لكنه بمضى الوقت مال إليه وأحبه ..

قال أحد المعارف عن أليوشا :

إنه الوحيد فى العالم الذى يمكن تركه خاوى الوفاض فى مدينة لايعرفه فيها أحد فلا يحمل همًّا؛ لأنه سيجد من يطعمه ويؤويه ..

سأله أبوه :

لماذا لم تتم تعليمك؟

فلم يجب ..

فى النهاية قرر أن يأتى لزيارة قبر أمه ..

كما يجيد دوستويفسكى رسم شخصية الأب زوسيما، معلم أليوشا ووالده الروحى..

يقول عنه :

كان الأب زوسيما فى نحو الخامسة والستين ، ينحدر من أسرة ثرية ، والتحق فى شبابه بالجيش كضابط ثم استقال ليلتحق بالدير ..

قيل إن عدداً ضخماً من الناس كانوا يفدون للاعتراف بين يديه والتماس نصحه و بركته ... واشتهر الأب زوسيما بالفراسة، فهو ما يكاد يطل فى وجه زائره حتى يصل إلى سريرته ويسبر أغواره ... دون أن ينطق بحرف .

كان الكثيرون يذهبون إليه ونفوسهم مملوءة جزعًا وقلقًا، وما يكادون يلقونه حتى تنبسط أساريرهم وتنطلق ضحكاتهم فى استبشار ..

كان الراهب هادئًا مرحًا .. وكان الأقرب إلى نفسه الأكثر خطايا وآثامًا ..

توطّدت العلاقة بين الإخوة الثلاثة ..

كان أليوشا متحفظًا مع إيفان؛ لأنه كان صموتًا يميل إلى

التفكير، على العكس من ديمترى الذى ألفى أليوشا نفسه معه على سجيتها . .

أما الصلة بين إيفان وأخيه ديمترى ، فإن الأخير كان يشعر بالاحترام العميق نحو إيفان . .

اتفق الأب وأولاده الثلاثة أن يجتمعوا فى صومعة الراهب زوسيما . .

تتناول الرواية مشكلة العلاقة بين الخير والشر، وبين الضرورة والحرية . وفى إحدى فصول الرواية وعنوانه "الغارق فى الشهوات " يصف لنا دوستويفسكى جانباً من الصراع بين فيدور كرامازوف وابنه ديمترى المفتون بجروشنكا ، والتى ينازعه فيها أبوه ، ويقول دوستويفسكى " جرى جريجورى وسمردیا كوف إلى الحجرة خلف ديمترى ، وكانا يتشاجران معه فى الممر رافضين أن يسمحا له بالدخول؛ وذلك عملاً بالأوامر التى تلقياها من فيدور كرامازوف قبل ذلك بأيام، واغتنم جريجورى فرصة وقوف ديمترى لحظة عند دخوله إلى الحجرة ليبحث عنه ، وجرى حول المائدة وقفل البابين

المُزدوجين على جانبى الحجرة اللذين يؤديان إلى الحجرات الداخلية، ووقف حيال البابين المغلقين مادًّا ذراعيه متأهبًا للدفاع عن المدخل إلى آخر قطرة من دمه، ولما رأى ديمترى ذلك أطلق صرخة وهجم على جريجورى .

« إذن هى هنا إنها مخبأة . افسح لى الطريق أيها الوغد » .

وحاول أن يجتذب جريجورى بعيداً ، ولكن الخادم المسن دفعه إلى الوراء فاستشاط ديمترى غضبًا وهجم على جريجورى وضربه بكل قوة ، فسقط الرجل المسن كما تسقط كتلة من الخشب ، ووثب ديمترى فوقه واقتحم الباب ، وشحب وجه سمرديا كوف وأخذ يرتعش، وهو واقف فى طرف الحجرة الآخر على مقربة من فيدور كرامازوف وقد ارتبك واختلط عليه أمره .

وصاح ديمترى قائلاً : « إنها هنا لقد رأيتها فى التو واللحظة متجهة إلى المنزل ، ولكنى لم أستطع القبض عليها ، فأين ؟ أين هي؟.. »

وصيحته « إنها هنا » كان لها تأثير فى نفس فيدور

كرامازوف لايمكن وصفه ، فقد ذهب عنه كل ما تولاه من الخوف .

وصاح مندفعًا « أمسكو به، اقبضوا عليه » .

وفى أثناء ذلك قام جريجورى من أرضية الحجرة ولكنه كان لايزال يبدو مذهولاً ، وجرى إيفان وأليوشا خلف والدهما ، وسمع فى الحجرة الثالثة صوت سقوط شىء أحدث رنينًا ، وكان ذلك زهرية كبيرة ولكنها ليست غالية الثمن على ركيزة من المرمر ، وقد قلبها ديمترى وهو يجرى إلى جانبها .

وصاح الرجل العجوز وراءه : النجدة . فأمسك إيفان وأليوشا بالرجل العجوز ، وكانا يحاولان إرغامه على العودة إلى مكانه .

وصاح إيفان فى وجه أبيه غاضبًا « لماذا تجرى وراءه ؟ إنه سيقتلك فى الحال » .

« إيفان . أليوشا . لابد أنها هناك ، جروشنكا هنا ، لقد قال : إنه رآها بنفسه وهى تجري » .

كان يغص بريقه ، ولم يكن ينتظر جروشنكا فى ذلك

الوقت ، والأخبار المفاجئة بأنها فى المنزل أخرجته عن طوره، فكان يرتعش غضبًا ويبدو فاقد الصواب . .

فصاح إيفان قائلاً : "ولكنك رأيت بنفسك أنها لم تأت إلى هنا" .

"ولكن يمكن أن تكون قد جاءت من المدخل الآخر" .

" ولكنك تعرف أن ذلك المدخل الآخر مقفل ومفتاحه معك " .

وظهر ديمترى فجأة فى قاعة الاستقبال ، وبطبيعة الحال وجد الباب الآخر مقفلاً ، والواقع أن مفتاحه كان فى جيب فيدور كرامازوف، وكانت نوافذ الحجرات جميعها مقفلة ولذلك لم يكن هناك سبيل لمجيء جروشنكا إلى أى مكان فى المنزل ولا لخروجها إلى أى مكان منه .

وحينما رآه فيدور كرامازوف ثانية صاح قائلاً :

" أمسكو به إنه كان يسرق النقود فى مخدعى " وانتزع نفسه من إيفان معاودًا الهجوم على ديمترى ولكن ديمترى لوح بيديه ، وفجأة أمسك بالرجل العجوز فى خصلتى الشعر الباقيتين فى صدغيه وشدهما بعنف ، وطرحه على

الأرض ، وأحدث صوتُ وقوعه ضجة ، وركله مرتين أو ثلاث مرات بكعبه فى وجهه فتأوه العجوز بصوت حاد، وبالرغم من أن إيفان لم تكن له قوة ديمترى الجسدية، فقد ألقى ذراعيه حوله وجذبه بكل قوته ، وساعده أليوشا بقوته الواهنة بأن أمسك بديمترى من الأمام .

وصاح به إيفان قائلا : " أيها المجنون لقد قتلته " .

فصاح ديمترى لاهث الأنفاس " هذا ما يستحقه وإذا لم أكن قد قتلته فإنى سأعود ثانية لأقتله ، ولن تستطيع حمايته " .فصاح به أليوشا بلهجة الآمر: " ديمترى انصرف من هنا فوراً " .

" ألكسى خبرنى ، إنى لا أصدق غيرك ، هل كانت هنا فى هذه اللحظات أو لا ؟ لقد رأيتها بعينى وهى تزحف من هذا الطريق ، بجانب الحاجز من الحارة ولما صحت بها ولت هاربة " .

" أقسم أنها لم تكن هنا ، ولم يكن أحد ينتظر قدومها" .

" ولكنى رأيتها ... فلابد أنها كانت هنا ... سأعرف

فوراً أين هى ... أستودعك الله يا ألكسى . لاتقل كلمة واحدة لأيسوب عن النقود الآن ، ولكن اذهب إلى كاترينا إيفانوفنا من فورك ولاتتردد فى أن تقول لها : " إنه يرسل إليك تحياته " ، تحيات ، تحيات ولاشيء غير التحيات والوداع ، وصف لها ما شاهدته " وفى أثناء ذلك رفع إيفان وجريجوى الرجل العجوز و أجلساه على كرسى له تكأة ، وكان وجهه ملطخًا بالدماء ، ولكن لم يكن فاقد الوعى ، وكان يستمع فيفرط اهتماماً إلى صيحات ديمترى ، ولايزال يتوهم أن جروشنكا موجودة فى مكان ما بالمنزل ، ونظر إليه ديمترى نظرة تنطوى على الكراهية الشديدة وهو خارج .

وصاح قائلاً : " لا أندم على إراقة دمك فاحذر أيها العجوز ، وحذار من أحلامك فإن عندى كذلك أحلامًا ، وإنى ألعنك وأتبرأ منك كل التبرؤ " .

وانطلق يجرى من الحجرة .

فنشج العجوز قائلاً وهو لايكاد يبين: " إنها هنا ، لابد أنها هنا يا سمرديا كوف " . وكان يشير بإصبعه .

فصاح به إيفان غاضبًا : "كلا ، إنها ليست هنا أيها

العجوز المجنون. ها هو يغمى عليه . أسرع ياسمردياكوف بإحضار الماء ومنشفة " .

وأسرع سمردياكوف ليحضر الماء ، وخلعا ملابس الرجل العجوز ووضعاه فى الفراش ، وبللا المنشفة حول رأسه ، وكان قد أنهكه ما تلقاه من الضربات فأغمض عينيه واستغرق فى النوم حالمًا وضع رأسه على الوسادة ، وعاد إيفان وأليوشا إلى غرفة الاستقبال ، وأزال سمردياكوف بقايا الزهرية المكسورة ، ووقف جريجورى إلى جانب المائدة ينظر إلى أرضية الغرفة فى أسى واكتئاب.

وخاطبه أليوشا قائلاً: " ألا تضع ضمادة مبتلة حول رأسك وتأوى إلى الفراش كذلك ؟ إننا سنعنى به ، لقد لطمك أخى لطمة شديدة على رأسك " .

فقال جريجورى فى وضوح وهو حزين " لقد أهاننى " .

فعلق إيفان على ذلك بابتسامة مغتصبة قائلاً : " لقد أهان أباه " .

# جريمة

أحاطت جروشنكا ديمترى بذراعيها وقالت :

– سامحنى يا ديمترى ...

قال ديمترى :

سأذهب بك بعيداً .. لكننى لص .. سرقت المال من كاتيا .. سأدفع لك كل ما أملك فأعطه لها ولنرحل ونعمل فى الأرض. فجأة دوى صوت :

– إنه هنا أمسكوه ..

كانت الغرفة المجاورة تَغُصُّ بالناس ... مفتش الشركة، وقاضى التحقيق ورجال الشرطة ..

– ما معنى هذا يا سادة ؟

– هلم معنا يا قاتل أبيك ..

كان ديمترى مذهولاً .. فلم ينبس بحرف ..

لقد عثرت مارفى على زوجها جريجورى ملقى على الأرض ووجهه ملوث بالدماء ، وسمعته يقول :

– الوحش .. لقد قتل أباه ..



obeikandl.com

هرولت نحو النافذة وأطلت منها .. فكان فيدور ملقى على الأرض بلا حراك وقميصه الأبيض ملوث بالدماء .. لقد تهشمت جمجمته بأداة ثقيلة .. وعثروا على المطرقة النحاسية فى الحديقة ..

وتنعقد المحكمة ..

اليوم المشهود

بدأت محاكمة ديمترى فى العاشرة صباح اليوم التالى ، وغصت قاعة المحكمة بالجمهور ... وكانت قاعة فسيحة بها منصة للقضاء وصفَّان من المقاعد للمحلفين ومقعد خشبى للمتهم ... وفى الوسط مائدة عليها مستندات القضية .. أو الأدلة : ثوب فيدور الملطخ بالدماء ، والمطرقة النحاسية ، ومنديل ديمترى وثيابه الملوثة بالدماء والغلاف الممزق ..

كان ديمترى يرتدى ثوبًا جديداً أنيقًا وهو جالس فى هدوء وسكينة ..

سأله رئيس المحكمة عن سنه واسمه ومهنته فأجابه بصوت حاد مرتفع أثار دهشة الرجل ..



obeikandl.com

تخلف كثيرون عن الشهادة منهم سمرديـاكوف الذى انتحر شنقًا . .

سأل الرئيس ديمترى :

أنت مذنب ؟

كلا . . .

توالى الشهود . . فأدلوا باعترافات مثيرة . .

وجهت تهمة قتل فيدور كرامازوف إلى ابنه ديمترى، وكانت هناك شبهات وقرائن كثيرة تدعو إلى هذا الاتهام ، ولكن الواقع أن القاتل الحقيقى كان ابنه غير الشرعى سمرديـاكوف ، وفى سرد أحداث الرواية بعد إلقاء القبض على ديمترى متهمًا بقتل أبيه تتجلى براعة دوستويفسكى الكاتب الروائى وخصب خياله ووصفه للمحاكمة وإجراءاتها ودفاع المحامى فيتيوكفتش عن المتهم غاية فى قوة التصوير ودقة التعبير .

* * *

# الفهرس


| الروايـــة | الصفحة |
| --- | --- |
| البؤساء | ٥ |
| مقبرة على بابا | ٥٩ |
| الحرباء | ٦٩ |
| الدوقة والجواهرى | ٨٣ |
| الإخوة كرامازوف | ١٠١ |


obeikandl.com